العلم والصبر عليه

أستاذة أناهيد السميري

ألقي يوم الإثنين 17/ 4/ 1432هـ

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله-عزَّ وجلَّ-بِمنّه وكرمه وهو الكريم المنّان أن يجعل هذه الاجتماعات مباركة على أهلها، وسببًا لرفعة منزلتهم عند ربّ العالمين، تشهد لهم عندما يلقونه يكلمونه-سبحانه وتعالى-ما بينهم وبينه ترجمان، وهذه المجالس الطيّبة التي يسّرها الله-عزَّ وجلَّ-بمنّه وكرمه وجعلنا نجتمع من كل مكان! وفي أزمنة لم تكن تخطر ببالنا! ووفقنا لحضور مثل هذه المجالس في أزمنة وأوضاع لم تكن تبلغها آمالنا! فالحمد له وحده، والشكر له وحده-سبحانه وتعالى-.

في هذا اللقاء-إن شاء الله-سيكون كلامنا حول العلم وحول الصبر عليه، وقد قرأنا صفحات مِن صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، وكيف أنهم اعتلَت هممهم الجبال! وهذا من فضله-سبحانه وتعالى-على الخلق، أن وفّقهم إلى العلم ورزقهم الصبر، فالعلم لا يمكن أن يُحصَّل بدون صبر، بل المركب الذي يحمل طالب العلم حقًّا هو الصبر!

فقد كان كثير من أهل العلم يتواصون بالصبر، ويكفينا في هذا أنّ الله جعل الصبر خاتمة الوصايا وخاتمة الأوصاف لمن أفلح، فقال-سبحانه وتعالى-:

{وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[1]

فها نحن في هذا المجلس المبارك نتواصى بالصبر على أمْر في غاية الأهميّة، نتواصى بالصبر على طلب العلم سواء كان هذا الطلب سماعًا أو كتابة أو حفظًا أو كان تفرُّغًا من مشاغل الدنيا.

← وانظري إلى خبر الإمام الذي عرَفته الدنيا، وقد ذكر عنه الخطيب البغدادي في ترجمته هذا الكلام وهذا الإمام هو:

إبراهيم بن إسحاق الحربي، ولد في عام 198هـ وهو من القرون الأولى.

يقول عنه الخطيب: "كان إمامًا في العلم، رأسًا في الزهد، عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، حافظًا للحديث" إلى آخر ما وصف، ثم قال-وهذا شاهدي في الصبر-: "قال إبراهيم الحربي عن نفسه: أفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين! إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت، وإلا بقيت جائعًا عطشانًا إلى الليلة الثانية!"

(1) [سورة العصر]

هذه الثلاثين السنة الأولى من حياته، ماذا يفعل؟ باقٍ في مكانه يطلب العلم، إذا أُمّه أو أخته أتوا له بالرغيفين أكل ذاك اليوم وشرب، إذا لم يُؤتى له بهذان الرغيفان تركهما وبقي عطشانًا جائعًا!

يقول: "وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي أكلت، وإلا بقيت جائعًا عطشانًا إلى الليلة الأخرى، ثم يقول: والآن آكل نصف رغيف!" فانظري إلى تزودهم من الدنيا!

وأيضًا ذُكر عنه-إبراهيم الحربي-أنه قال: "ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيء، كنت أجيء من عشيّ إلى عشيّ وقد هيأت لي أمي باذنجانة مشوية أو باقة فجل" يعني هذا الطبخ وأنواعه الذي كان في زمانه كان يستنكره! وإنما كان من العشي للعشي يأكل أكلة واحدة.

فهذه النظرة للحياة من المؤكّد أنّها تغيّر تعلّقاتنا بالدنيا وتغيّر سقف آمالنا، ونحن عندما نضرب هؤلاء مثلًا نريد من أنفسنا أن تخفّف التعلّقات وتنظر كيف كان تحصيل العلم، إنّ تحصيل العلم من راغبيه قديمًا كان طوافًا في البلدان وكان نصبًا للأبدان، لكنه كان كسبٌ للزمان، لا راحة ولا استرخاء، ولا تمنعهم الصعوبات من لقاء العلماء، وأمانيهم في تحصيل العلم وخدمة الدين تحدوهم للمزيد، وتُنسيهم كل ما يلقونه من تعب وعناء!

فأصبح الفارق والسبب في رفع الصبر عند أهله هو: (اختلاف الأماني).

فمن كانت غاية أمانيه في الدنيا أن يبات آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يوم، أكيد أنه سيحرّك أمانيه للآخرة بقوة، ويرى كل مفقود في الدنيا لا قيمة له، أما مَن يبات وهو متعلق بالدنيا، راغبٌ بها، متحسّرٌ على فوات شيء منها، فعن أيّ شيء سيصبر؟! بل سيصبر على فراق الطلب، ولا يصبر على فراق شيء من الدنيا!

← واسمعي خبر المقرئ المغربي أبا القاسم الهذلي، هذا أحد مَن طوّف الدنيا في طلب القراءات، وكان بلده المغرب، فرحل من أقصى المغرب-وأنتم تعرفون المغرب العربي الآن أين-إلى أقصى المشرق إلى بلاد الترك، لكِ أن تتصوري نوع رحلته، وهو معروف في طلب القراءات، وأنت كلما ترين هم السادات في الطلب، تحفّز همّتك عليه، فلا إله إلا الله والله أكبر كيف تعلّقت النفوس بالله وكيف تعلّقت بالعلم، فهذا القارئ كان يدرس علم النحو ويفهم الكلام والفقه، ويرتحل من أجل القراءات، وقد ذُكر أن الإمام القشيري يراجعه دائمًا في مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه، فهؤلاء بذلوا جهدهم وانتفعت الأمة منهم، وكان الذي يحدوهم على ذلك أن مُكّنوا من الصبر رزقًا منه-سبحانه وتعالى-.

← وهذا ابن عساكر المشهور–رحمه الله–كان محدّث الشام في وقته، وكان من أعيان الفقهاء الشافعية، واشتهر ابن عساكر بعلمه في الحديث، رحل وطوّف وجاب البلاد ولقي المشائخ، وقد بلغت تعداد شيوخه سبعة آلاف شيخ! وكان حافظًا صاحب دين، جمع بين المتون والأسانيد، سمع ببغداد ثم رجع إلى دمشق ثم رحل إلى خراسان ودخل نيسابور وأصبهان وهرات والجبال وصنف التصانيف المفيدة وخرّج التخاريج.

ولابن عساكر تاريخ مشهور فقال عنه المنذري صاحب مختصر مسلم: "ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال!".

كأنه يقول: أكيد أن هذا الرجل لما كتب تاريخه أكيد أنه كتبه مِن أن وعى على نفسه، يعني مِن أن عرف نفسه، مِن أن عرف مَن هو–طفل يعني–وإلا فالعمر قصير عن أن يُكتب مثل هذا التاريخ، ولقد قال الحق، متى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثل هذا التاريخ؟! يعني كيف كتبها في مسودات ثم ولّفها ثم رتّبها؟! أمْرٌ عجيب! وكتابة ابن عساكر للتاريخ عجيبة، منها كتابه (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا! فهذه هبة الله لكن مِن المؤكد أنّ العبد لا يصل إلى هذه المنزلة إلا بشيء من الجهد والتفرغ، وأهم أمر كما اتفقنا هو الصبر.

وأنا أريد أن أطوّف بكم قليلًا في هذه الشواهد ثم نتكلم عن برنامج عملي أو على الأصح برنامج قلبي من أجل أن نطهّر قلوبنا من التعلّق بالدنيا وندخل فيها ما يعيننا على طلب العلم.

الحقيقة العلماء كثر، وقد وصفهم المؤرخون، وهم قد وصفوا أنفسهم في مواطن.

← وهذا الإمام الجوزي في كتابه (صيد الخاطر) يتحدث عن الشدائد التي نالته في بدء طلبه وعن محامد صبره على تلك الشدائد فيقول: "ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألاقي من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو!". واستشهد بقول الشاعر:

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

يقول: "كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى في بغداد فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل للعلم، فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول–صلى الله عليه وسلم–وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم".

ويقول أيضًا: "ولم أقنع بفن واحد بلْ كنتُ أسمعُ الفقهَ والوعْظَ والحديثَ وأتبعُ الزهادَ، ثم قرأت اللغة ولم أترك أحدًا ممن يروي ويعظ ولا غريبًا ليقدم إلا وأحضره وأتخير الفضائل ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نَفَسي من العدْوِ لئلاّ أُسبق!-يعني يريد المجلس الأول-وكنت أصبح وليس لي مأكل وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلّني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح!".

انظري إلى هذا الصبر العجيب! كل هذا من أجل ما يجد في قلبه من حلاوة الطلب.

على كل حال، يستمتع الإنسان بسماع أخبارهم، ويرى أن لا ينشغل عن أحوالهم، ويرجو الإنسان أن يكون ممن انتفع بهؤلاء الكبار.

وقد ذكر الحافظ السخاوي رحمه الله قصة سندها إليه لكن أذكرها من باب الاستئناس:

يقول: "كان أبو أيوب سليمان ابن داود من الحفاظ الكبار، وتوفي في أصبهان في سنة 234 رُئي بعد موته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقيل: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان فأخذني المطر وكان معي كتب ولم أكن تحت سقف ولا شيء، فانكببت على كتبي حتى أصبحت وهدأ المطر-يعني حمى بظهره كتبه-. يقول: فغفر الله لي بذلك".

هذه رؤيا لكن يُستأنس بها في معرفة أن هؤلاء كم صبروا وكيف نظر الله-عزَّ وجلَّ-لصبرهم، كم كانوا صادقين وكيف جازاهم الله على صدقهم.

على كل حال، نلج من هذه القصص لما بعدها وهي:

كيف نطهّر القلب من التعلّق بالدنيا ونصل به على مركب الصبر إلى التعلّق بالآخرة؟

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، كم امتلأت قلوب الصالحين بمعرفته-سبحانه وتعالى-! فإذا ألّه العبد ربه بمعرفته وصبر على طلب رضاه، من المؤكد أنّ هذا-بكلام مجمل-هو الطريق، يعني إذا تأملت في هاتان الكلمتان العظيمتان: (الله أكبر ولا إله إلا الله)، لوجدت أمرًا عجبًا، فأنت تقول: أنا ليس لي أكبر ولا أعظم منه-سبحانه وتعالى-، فهو أكبر ما في قلبي، وأعظم ما في قلبي، وكل شيء دونه، وهو الإله المحبوب المعظَّم، فإذا كان هذا الأمر حقًا في قلبك، من المؤكد أنك ستطلب رضاه، وإذا أتيت طالبًا لرضاه، وأصبحت همتك بعد معرفته-سبحانه وتعالى-همة حول رضاه، أكيد أنك ستصبر لتحصيل الرضا، ومن أعظم

أبواب تحصيل الرضا أن تحب العلم، فمحبة العلم دين يُدان به؛ لأن العلم ميراث الأنبياء، والعلماء وَرَثتهم، فمحبة العلم وأهله محبة لميراث الأنبياء وورثتهم، ومحبة العلم في القلب قربى إلى الله بل هي من علامات السعادة.

والمقصود بالعلم هنا علم الرسل الذي جاؤوا به وورّثوه للأمة، لا في كل ما يسمى علمًا، فإذا عظّمت الله أحببت العلم الذي أتى به أنبياؤه، وتقربت إلى الله بحب هذا العلم، فإذا أحببت العلم ستصبر على تعلمه واتباعه، وأيضًا إذا علمت أن الله-سبحانه وتعالى-عليم يحب كل عليم، وإنما يضع علمه عند مَن يحبه، فمن أحب العلم وأهله فقد أحب ما أحب الله، يعني أنت أحِبّ العلم وأحِبّ أهل العلم، كل شخص عنده علم في الشرع الله-عزَّ وجلَّ-يحبه ولذلك علمه، والله-عزَّ وجلَّ-يضع علمه عند من يحبه.

فأنت الآن تصبر على العلم لأنك تعلم أن الله لو وضع العلم في قلبك معناه أن هذا دليل على محبته لك، فتصبر لتحصيل هذه الفضيلة، وتصبر أيضًا لأنك تعلم أن العلم يكسبك الطاعة، العلم يكسب طالبه الطاعة في حياته، يكسبه جميل الذكر بعد مماته.

فإذا كان علمك سيسبب لك زيادة القرب من الله، ويسبب لك الطاعات، فهو خير ما يُرتجى مادمت حقًا تعظم الله وترجوه، ثم اعلم أن صنيعة المال تزول بزوال المال، أما صنيعة العلم فلا تزول.

يعني الناس الآن قد يصنعون لك صنيعًا ويحترمونك من أجل مالك ويكرمونك ويخدمونك من أجل توليك منصبًا، لكن إذا زال؛ زال كل شيء! إذًا صنيعة المال صنيعة معاوضة، أما صنيعة العلم والدين، عندما يعاملونك الناس من أجل ما معك من علم فهذه صنيعة حب وتقرب وديانة.

فهكذا لابد أن تتصوّر فضل العلم، وهكذا لابد أن تجمع قلبك على الصبر عليه وطلبه حتى الممات، وقد روى الترمذي والحديث في سنده كلام، لكن نحن نستشهد به لمجرد الاستئناس: ((لَنْ يَشْبَعَ الْمُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةُ))[1] فالنبي-صلى الله عليه وسلم-جعل النهمة في العلم وعدم الشبع منه من لوازم الإيمان، أن يشبع المؤمن، من أوصاف المؤمنين، فأخبر أن هذا لا يزال دأب المؤمن حتى دخوله للجنة.

ولهذا كان أئمة الإسلام إذا قيل لأحدهم: إلى متى تطلب العلم؟ قالوا: إلى الممات! أكيد أنكم تحفظون كلامًا مثل هذا في الكلام عن الإمام أحمد لما سأله الرجل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: إلى الموت.

(1) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الألباني: ضعيف.

وقد قال عبد الله بن بشر: "أرجو أن يأتيني أمْر ربي والمحبرة في يدي، ولم يفارقني القلم والمحبرة!". من كثرة حبهم لهذا الأمر وإحساسهم أنه قربى إلى ربهم.

وقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة يرفعه إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-قال:

((سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ، كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةً، وَالسَّابِعَةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا. قَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَتْقَى؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ وَلاَ يَنْسَى. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى؟ قَالَ: الَّذِي يَتْبَعُ الْهُدَى. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ. قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: **عَالِمٌ لاَ يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ**))[1] وهذا موطن الشاهد.

فتبيّن أن الأعلم هو العالم الذي لا يشبع من العلم، وهذا موسى وهو كليم الرحمن وأكرم الخلق على الله في زمانه وأعلم الخلق، حَمله حِرصه ونَهمته في العلم على الرحلة إلى العالم الذي وُصِف له، فلولا أن العلم أشرف ما بذلت فيه المهج وأنفقت فيه الأنفاس لاشتغل موسى-عليه السلام-عن الرحلة إلى الخضر بما هو فيه من عمل.

لكن سنعود مرة أخرى نقول: **ماذا أعمل لأرفع درجة الصبر في قلبي وأطلب العلم ولا أشتغل عنه؟**

نقول: أولًا هناك جانب اعتقادي: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله)، فهذا المعنى لابد أن يكون عميقًا في قلبي، أن الله أعظم شيء وأبحث عن الأشياء العظيمة التي تقربني إليه، وأعرف أن الذي يزيد تعظيمه في قلبي وتعلقي به هو العلم، وأعلم أن الخشية والعبادات القلبية طريقها من باب العلم، فلابد أن يأتي الصبر عليها.

لكن يزاحم دائمًا العلم في القلب حب الدنيا، فسنتكلم عن سقف آمالنا وأمانينا الذي أشرنا إليه في بداية اللقاء، ونقول:

لابد أن نخفض سقف أمانينا في الدنيا خفضًا تامًا، بمعنى أنّ الأماني في الدنيا تشغلك عن الله، الأماني في الدنيا تشغلك عن الامتلاء بالطلب والعلم والرغبة فيه وتحقيق كل خاطرة في الطلب، فإن الخواطر في الطلب تأتي على قدر جهدك فيه.

ما معنى خواطر الطلب؟ يعني مرة ترجو أن تعرف معنى هذا الحديث، ومرة ترجو أن تعرف معنى هذه الكلمة في لغة العرب، ومرة ترجو أن تعرف تفسير هذه الآية، ومرة ترجو أن تعرف ماذا قال الفقهاء في المسألة وكيف اختلفوا فيها وما الراجح فيها، ومرة ترجو أن تعرف ماذا تقول في معنى هذا الاسم من أسماء الله.

(1) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

فإذا استجبت لهذه الأماني وعظّمتها ورعيتها حق رعايتها، كنت ذاك الطالب الذي يصبر على الطلب، كنت ذاك الراغب في العلم المنشغل به.

ومتى أسكتّ هذا الصوت وأخفضت سقف أمانيك في الآخرة ومتى نسيت أن الملائكة تحيط بك وأنت تذكر وأنت تبحث وأنت تتعلم، ونسيت أن المطلوب منك أن تهاجر إلى الله، متى حصل هذا فأكيد أن سقف الدنيا وأمانيها سيرتفع، وستستجيب لكن ليس لأماني الطلب إنما ستستجيب لهوى النفس، فإذا رأيت مطعمًا اشتقت أن تعرف كيف يُطبخ، وإذا رأيت ملبسًا اشتقت أن تشتري مثله، وإذا رأيت فَرْشًا وددت أنك لو اقتنيته، وإذا رأيت وردًا وددت لو أنك نسقته، وكأنك تنسى ما ضُرب في الدنيا من أمثال! قال تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[1].

ما أحقر المخلوقات وإن عظُمَت، ما أحقر أماني الدنيا وإن كثُرت؛ ولهذا الله-عزَّ وجلَّ-عندما يذكر أهل الإيمان، يذكر أنه-سبحانه وتعالى-خصّهم بخاصية وهي: (ذكرى الدار)، فذكر الدار الآخرة مِن أعظم ما يحفز النفس، ذكر الدار الآخرة من أعظم ما يحقر في النفس أماني الدنيا وإن كثرت؛ ولهذا ذكر الله-عزَّ وجلَّ-هؤلاء الخالصين بأنه خصهم بخاصة وهي: ذكرى الدار.

على كل حال، يعْظُم عليك الأمر بسبب حُب الدنيا، يعْظُم عليك الأمر بسبب استجابتك للخواطر والأماني، يعْظُم عليك الصبر على الطلب بسبب أن المحيطين حولك يعلقونك بالدنيا.

أنت الآن في طريق الطلب ما عليك إلا محاولة جمع شتات نفسك، وجعل الطلب رغبة محبوبة وقربى، والعلم من هبات الله، فالله العليم ويؤتي العلم مَن يحب، فإذا وهبك الله بداية الطريق فلا تشتت نفسك ولا تسود صحائفك ولا تشغل قلبك حتى بالخيالات، فإن القلب هو وعاء العلم، فإذا كان وعاؤك مستعد فارغ، ملأه الله؛ ولذلك:

مَن كان وعاءً للخير .. ملأ الله وعاءه

فرّغه من الدنيا ومشاغلها، وهذا ليس كلامًا عن الزهد، أنت عندما تأتيك الدنيا بين يديك عاملها بيدك.

افترض مثلًا أنك ممن يحب الطعام الحلو، تبقى تشتهيه، تفكر فيه وتفكر في المطعم الفلاني والمكان الفلاني الذي يبيعه، وتوصي زميلك: (لا تنسَ، اذهب اشتري لي) لا تفعل هذه الأمور، لكن قدر الله أنك وجدتّه بين يديك، بأي طريقة، تناوله لا بأس

(1) [سورة يونس: 24]

لكن عندما تتناوله أيضًا لا تفرح به، قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[1] فكيف يمكن أن تفرح بما تجمع والله-عزَّ وجلَّ-يقول: لا تفرح به، إنما افرح بفضل الله ورحمته وفضل العلم ورحمته كما قال أهل العلم: هو العلم والقرآن والإيمان، هو خير مما يجمعون، لابد أن تعرف أنه خير مما يجمعون.

لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، حقًا صدقًا لو حققناها في قلوبنا لوجدنا أن قلوبنا لا تستلذّ إلا بذكره، ولا تبحث إلا عن ثنائه وحده لا شريك له، ولا تستلذّ إلا في حدائق العلم وبهجتها، لكن أمات ذكر الدنيا وحبها قلوب الخلق.

فعليك بهذه الوصايا الثلاثة:

1. اعتنِ جدًا بوعائك، طهره من التعلّق بالدنيا، لا تستجب لخواطر الدنيا واستجب لخواطر الدين. كلَّما خطر في بالك أن تعرف معنى آية؛ سجل هذا الخاطر وأول فرصة تأتيك نفذه.

2. اعتنِ جدًا بعباداتك، بصلاتك، بالأذكار، فإن طالب العلم يستعين بهذه العبادة على الصبر وعلى تحصيل المقصود، فإن العبادة تورث القلب صبرًا، تمرنه على الصبر، أكثر من الذكر، اجعل عباداتك أمرًا مقدسًا لا تمسه يد العابثين ولا تلهك عن هذه العبادات رنات الجوالات أو محادثات على الأجهزة، لا تلهك، قال تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[2]

3. اعتنِ جدًا برفقاء دربك، فإن الرفقة سبب للسموّ إذا كانت صادقة؛ لأن كثيرًا من رفقاء الدرب تتحول رفقتهم إلى بلاء، تكون في أول الأمر صحبة من أجل الله ثم تتحول فتصبح من أجل الهوى والنفس والشيطان، فلا تستحِ، أزيحهم من طريقك، أغلق عليهم الطرق، لا تقبلهم رفقاء ما دامو بالدنيا يذكرونك وبك يستمتعون سواء بأنسك أو بكلامك أو بقربك، الأنس ليس بك وليس بهم إنما الأنس به-سبحانه وتعالى-، فرفيق الدرب في هذه الحياة هو مَن أعان على طاعة الله. انظر إلى موقف موسى-عليه السلام-لما طلب من الله أن يرزقه أخاه معه، قال لله-عزَّ وجلَّ-: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا}[3] فهذا الحق في رفقاء الدرب، وإذا لم يكن كذلك فلا أهلًا ولا سهلًا ولا حيّا هذه الرفقة!

---

(1) [سورة يونس: 58]

(2) [سورة التكاثر: 1-2]

(3) [سورة طه: 33-34]

نسأل الله أن يعيننا على تنفيذ هذا الأمر، نسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعلنا حقًّا ممن أطاعه وذكره وشكره كما يحب ويرضى، عاجزين عن شكره أن جمعنا بكم، نسأله أن ينفعنا بهذا الاجتماع عندما نلقاه، ونقول: يا ربنا تركنا ما نحب، وتركنا الاشتغال بالدنيا وأهلها، وتركنا النوم، واجتمعنا في غرفة نعدّها مباركة، كلٌّ منّا له أوضاعه وأحواله، جاهدناها واجتمعنا، فيا ربنا تقطعت السبل مرارًا وأعدنا الاتصال مرارًا، كل هذا ونحن نرجو منك أن تقبل هذا العمل على ضعفه وهزله وقلة مؤونته، لكن أنت الذي تُبارك في الأمور كلها فبارك لنا في هذا اللقاء نفعًا في الدنيا وبارك لنا فيه عندما نلقاك يا ربنا.

جزاكم الله خيرا.

أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يجعلنا ممن ذكره وشكره-سبحانه وتعالى-كما يحب ويرضى.